ISSN: 2523 – 1871

مفهوم القدرة الاستيعابية ودورها في قياس الآثار السياحية على الجوانب الاقتصادية والثقافية والبيئية

ترجمة د. سعيد صفي الدين الطيب

قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة بنغازي

المستخلص:

هذا المقال ترجمة للفصل العاشر من كتاب (السياحة: المبادئ والتطبيق).

Chris Cooper, John Fletcher, David and Stephen Wanhill, (1993): Tourism principles and practice, Longman, Essex..

تقديم:

غالباً ما يصاحب عمليات التنمية الصناعية –بصفة عامة بأنواعها المختلفة، وفي أي مكان– تأثيرات اجتماعية وطبيعية متعددة، إذا وضعنا في الحسبان استهداف النشاط السياحي لأماكن محددة لاستهلاك المنتج السياحي هناك، لذلك يرى البعض أنها مسؤولة عن بعض التأثيرات الاجتماعية والطبيعية، وقد تبين من استعراض العديد من الدراسات المهتمة بتأثيرات التنمية السياحية طابع التحيز، ومن ثم إظهار صورة قاتمة للآثار السلبية للسياحية.

لذلك يأتي هذا الفصل (من كتاب السياحة المبادئ والتطبيق)؛ ليركز على دراسة مفهوم الطاقة الاستيعابية، وما يحيط بها من قضايا ومفاهيم ذات علاقة بالموضوع؛ لغرض الوصول إلى طرق تحليل الآثار الناجمة عن التنمية السياحية على البيئة المضيفة بشكل أكثر موضوعية.

تحليل التأثيرات المصاحبة Impact Analysis:

حاول عدد من الباحثين تحديد الاتجاهات البحثية المختلفة، المهتمة بالآثار المصاحبة للتنمية السياحية في إطار منهجية موحدة لتحليل هذه الظاهرة، وقد تبين أن أغلب الدراسات التي أجريت على موضوع تحليل التأثيرات المصاحبة، يغلب عليها الطابع الوصفي غير المفيد في طرح إطار تحليلي، ولذلك فإن تحليل التأثيرات المصاحبة للتنمية السياحية بشكل موضوعي يتطلب الابتعاد عن بعض

المفاهيم المتداولة؛ مثل: التلوث المائي، والازدحام المروري، واكتظاظ الشواطئ، التي تحمل في مضمونها إصدار أحكام مسبقة، لذلك فإن التأثيرات على الوجهة السياحية تحدد بواسطة طيف واسع من المؤثرات المتمثلة فيما يأتي:

- حجم حركة السياحة.
- هيكلية اقتصاد الدولة المضيفة.
- نمط النشاطات السياحية.
- اختلاف الخصائص الاجتماعية والاقتصادية بين السائحين ومواطني الدولة المضيفة.
- هشاشة البيئة المحلية.

يعتقد مؤلفو هذا النص أنه من الأفضل دراسة مدى تأثير السياحة على كل عامل من العوامل السابقة، سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية، أم طبيعية، أم ثقافية، ومن ثمَّ يمكن الانتقال إلى تقييم مدى تأثير كل مؤشر بشكل مقبول في المنطقة المضيفة.

هناك طائفة واسعة من القضايا والمواضيع التي يمكن مناقشتها تحت موضوع تحليل التأثيرات المصاحبة للتنمية السياحية، ومهما تباينت هذه المواضيع فهي متداخلة ومتبادلة التأثير.

ونظراً لأن هذا الفصل يهدف إلى دراسة مفهوم الطاقة الاستيعابية، فقد بُحِثَ فيه أنواع التأثيرات كلّها، فكلما طور قطاع السياحة في المقصد السياحي، كانت هناك تأثيرات؛ بعضها إيجابي، وبعضها الآخر سلبي، وبالتالي لا مناص من عمليات التغير. ومن ثم تحتاج إلى تطبيق معايير الطاقة الاستيعابية التي تحدد إمكانية الاستمرار في عمليات التنمية السياحية، أو الوقوف عند حد معين. فإذا تجاوزت درجة استغلال الموارد للقدرة التحملية الطبيعية أو البشرية، فإن تأثيراتها السلبية سوف تتفاقم وتتلاشى التأثيرات الإيجابية.

القدرة الاستيعابية Carrying Capacity:

أصبحت التأثيرات السياحية على الجوانب الاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية لدول المقصد السياحي حقيقة مسلم بها، كما اتضح أن هذه التأثيرات تتجاوز المعدلات كلما كبر حجم أعداد السائحين. هذه الحقائق تشير إلى وجود حد أقصى لقدرة التحمل، إذا زِيدَ عليه فإن التأثيرات تصبح غير مقبولة ولا يمكن تحملها، هذا الحد الأقصى للتحمل يمكن أن يُطلق عليه درجة التشبع Saturation limit، وهذا المصطلح أكثر دقة من نظيره القدرة الاستيعابية؛ لما تحمله من مؤشرات استدامة.

وقد عرف مفهوم القدرة الاستيعابية لأغراض هذا الفصل بأنه: "ذلك الحد لأعداد السائحين، الذي يولد تأثيرات على البيئة البشرية والطبيعية للمجتمع المضيف وللسائحين، حاضراً ومستقبلاً". وجدير بالذكر أنه يفضل استخدام مصطلح الحضور السياحي بدل أعداد السائحين؛ وذلك لأنه من السهل تعديل أعداد السائحين إذا وضعنا في الحسبان العوامل الآتية:

1- مدة الإقامة.

2- خصائص السائحين ومنطقة الاستقبال.

3- التركز الجغرافي للسائحين.

4- درجة الموسمية.

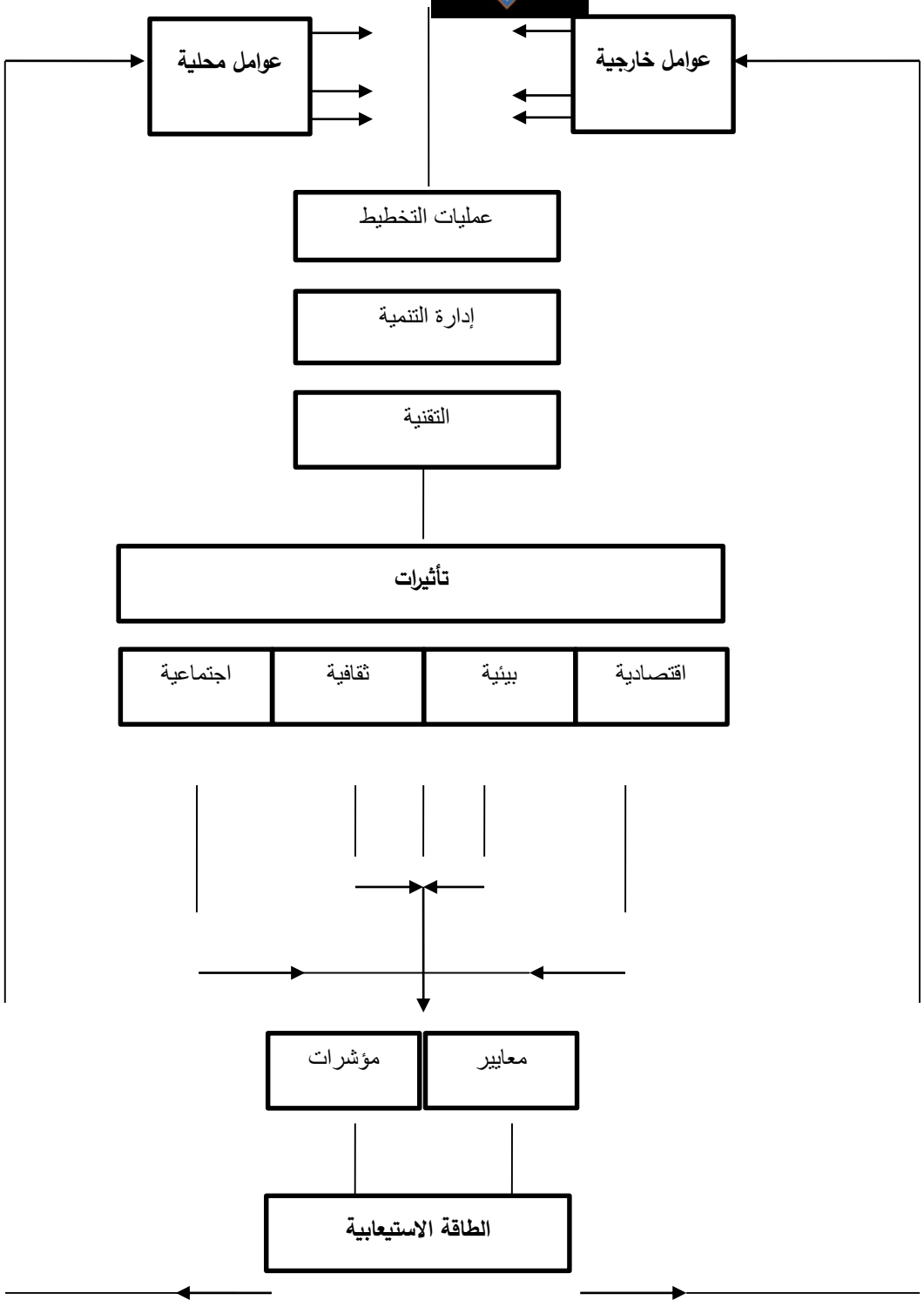
يجب قياس حجم الأفواج السياحية بشكل واضح لا يحتمل الشك، وذلك عن طريق استخدام الوحدات السياحية المكونة من وحدات معيارية، تقيس حجم التوزيعات السياحية بالاعتماد على العوامل السابقة. ولكن هناك صعوبة في دمج زوار أقل من يوم مع أولئك الذين يقضون ليلة سياحية، ففي الحالة الأولى يُقاس تأثيرها حسب ساعات الإقامة عكس الحالة الثانية؛ وذلك راجع إلى الحس الزمني، وقيمة الإنفاق المادي لكليهما.

بذلك تُعرف القدرة الاستيعابية بشكل ملائم لتخطيط برامج التنمية السياحية، وغالباً ما تتصف هذه الخطط بفرض قيود صارمة للتنمية السياحية؛ لغرض التقليل من الآثار السلبية على البيئة الاجتماعية والطبيعية.

إلا أن التفسير السابق لمفهوم القدرة الاستيعابية، مليء بالمصاعب، المترتبة على أن هذا المفهوم قائم على حدود ثابتة، لكن الانفتاح على الآخرين يترتب عليه قبول أكثر للسائحين عبر الزمن، الأمر الذي يؤثر على حدود القدرة الاستيعابية.

يختلف أثر السياحة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، فلكل منها قدرة استيعابية تختلف عن غيرها، ففي بعض الوجهات السياحية قد يؤثر نشاطٌ سياحيٌّ ما على النظام البيئي قبل أن يؤثر على الجوانب الأخرى، وهذا يعني أن القدرة الاستيعابية لبعض الوجهات السياحية يحدد باعتبارات بيئية مهما كانت التأثيرات على الاعتبارات الأخرى منخفضة، فعند القيام بقياس القدرة الاستيعابية بمكان ما، يفضل تحديد المنطقة المستهدفة بالدراسة أولاً. [شكل (1) يشير إلى إطار تخطيطي لتحديد القدرة الاستيعابية].

يشير الشكل (1) إلى أن محددات القدرة الاستيعابية هي نتاج مجموعة من العوامل التي تؤثر على الوجهة السياحية، تقدم العوامل الخارجية تغذية استرجاعية للزائرين والمضيفين، وعبر الزمن تنعكس هذه التأثيرات على الطاقة الاستيعابية، وهذا راجع إلى حركية (ديناميكية) مفهوم الطاقة الاستيعابية.



شكل (1) الطاقة الاستيعابية

المصدر: Adapted Atherton (1991) and Shelby (1984)

التركيبة الاجتماعية Social Structure:

للتركيبة الاجتماعية دورٌ مهمٌ في استيعاب أفواج السائحين، ومن هذا المنطلق نرى أن التركيبة الاجتماعية لمدينة نيويورك ولندن لديها القدرة على امتصاص أعداد السائحين وتحملها أكثر من المجتمعات الصغيرة ذات الأسر الممتدة الموجودة، على سبيل المثال: جزر ساموا الغربية Western Samoa، وتجمعات جزر جنوب المحيط الهادي South Pacific.

الثقافة Culture:

للخصائص الثقافية للوجهة السياحية دورٌ مهمٌ في تحديد أنماط التأثيرات، حيث يلاحظ أنه كلما كانت الخلفية الثقافية نادرة وغير معتادة، كانت أكثر جاذبية للسائحين، إلا أن ذلك يجعلها أكثر عرضة للتأثر بالثقافات الوافدة، وبالتالي تكون النتائج سلبية، إما بواسطة تدمير الثقافة المحلية، أو تصبح الخصائص الثقافية التقليدية مثل: الزي، والرقص، والصناعات التقليدية، سلعًا معروضةً للبيع.

البيئة Environment:

لا مناص من تغير البيئة في أي مكان عندما يصبح وجهة لتدفقات الأعداد السياحية، ويشمل مفهوم البيئة: البيئة الطبيعية والبشرية، إلا أنهما يختلفان في درجة التأثر، حيث تتميز البيئة البشرية بالمرونة وسهولة التعافي بشكل أسرع من البيئة الطبيعية، فعلى سبيل المثال: قد تركت زيارة الإنسان للقمر خلفها آثار أقدام حقيقية لأقدام رواد الفضاء، فكلما كانت البيئة أكثر حساسية كانت الآثار المصاحبة أكبر، وعمليات إرجاعها إلى أصلها أكثر صعوبة.

التركيبة الاقتصادية Economic Structure:

تحدد التركيبة الاقتصادية مقدار التكلفة المرئية للنشاطات السياحية، فكلما كان الاقتصاد أكثر تطوراً وتصنيعاً، كان أقوى من التأثيرات، ويحقق أعلى قدر من المنفعة، ويقلل التأثيرات السلبية إلى أقل حد ممكن.

التركيبة السياسية Political Structure:

غالباً ما يعكس النظام السياسي قيم دول المقصد السياحي وفوائدها، وهو المسؤول عن تشجيعها وتنميتها، أو الوقوف حجر عثرة أمام نموها.

الموارد Resources:

تعد الموارد المحلية (العمالة، رأس المال، الأرض... إلخ) ذات أثر مباشر على تحديد الرغبة في التنمية السياحية وتحديد نمطها، بينما تتعذر المنافسة في الأنظمة الاقتصادية التي تقل فيها الموارد؛ بسبب تدني إمكانية الربحية وارتفاع نسبة المغامرة عند استخدام الموارد المحدودة. وتعد البنية التحتية ضمن المواد المحلية أيضاً، لكن إذا كانت إمكانياتها لا تتحمل الاستخدامات المحلية والسياحية فإن ذلك يخلق نوعاً من التوتر بين السائحين والسكان المحليين، أما من الناحية الإيجابية فقد تسهم التنمية السياحية في تطوير البنية التحتية، مما ينعكس على ارتفاع مستوى المعيشة للسكان المحليين.

العوامل الخارجية Alien Factors

خصائص السائحين Tourist Characteristics:

لخصائص السائحين دورٌ مهمٌ في تحديد الآثار السياحية الاجتماعية والثقافية في البيئة المضيفة، فيلاحظ أن السائحين المنتمين إلى نمط السياحة المكثفة يؤثرون بشكل كبير على القيم الاجتماعية والثقافية للدولة المضيفة، بينما تقل تأثيرات سائحي المغامرة والاستكشاف.

يتوقع سائحو نمط السياحة المكثفة خدمات ذات طابع غربي، ولا يرغبون في التكيف مع قيم وعادات المجتمع المضيف، بينما يتحلى سائحو النمط الآخر بالرغبة في الاندماج في المجتمعات المضيفة. إجمالاً يمكن القول: إنه كلما كانت الفوارق كبيرة بين المجتمع المضيف ومجتمع الزوار، كانت التأثيرات أكبر.

نمط النشاطات السياحية Type of Tourist Activity:

هناك علاقة وثيقة بين نمط النشاطات السياحية وخصائص السائحين، فعلى سبيل المثال: تجلب ممارسة لعبة الميسر معها كثيرا من المشكلات الاجتماعية؛ وذلك لارتباط هذا النشاط بنشاطات رذيلة أخرى، كالدعارة والمخدرات والجريمة، كما يجب أن لا ننسى أثر الحضور السياحي والتأثيرات المصاحبة له على المقومات المحلية، على مدى الرضى السياحي، ومن ثم فإن قدرة التحمل لا تعتمد على الأفواج السياحية فقط، ولكن –أيضاً– على مدى تحمل الوجهة السياحية لمستوى درجة الاستدامة المقبولة لدى السائحين.

التخطيط، والإدارة والتقنية Planning, Management and Technology:

يهتم التخطيط بتنظيم الموارد لغرض التحكم في أحداث المستقبل، أما الإدارة السياحية فتتمثل في العمليات التي تحول المخططات إلى واقع ملموس، بينما تؤثر التغيرات التكنولوجية بشكلٍ مباشر على المشاكل المتعلقة بمشاريع التخطيط والإدارة، ونظراً إلى أن عملية التفاعل بين العوامل المحلية والخارجية تحدث في البيئة المضيفة، فإن عمليات التخطيط والإدارة ينبغي أن تهدف إلى تأمين درجة عالية من المنفعة (المحددة في الخطوات المرحلية للخطة)، وتقليل الجوانب السلبية إلى أقصى حد ممكن.

التأثيرات Impacts:

تؤثر عمليات معالجة العوامل الداخلية والخارجية خلال التخطيط والإدارة للتنمية السياحية، على البيئة الاجتماعية والثقافية والطبيعية والتركيبة الاقتصادية.

المؤشرات Parameters:

يقصد بها التغيرات المختلفة التي تحدث في البيئة المحلية؛ نتيجة لعدة مستويات من التواجد السياحي في المكان، وهي تعبر عن حقائق خالية من الأحكام الشخصية، ولكنها تقرن التواجد السياحي بالتغيرات في الجوانب الاجتماعية، والثقافية، والبيئية، والاقتصادية.

ISSN: 2523 – 1871

المعايير Standards:

تشير المعايير إلى قيم تُفرض على مراكز الجذب السياحي وعلى السائحين؛ لتحديد المتغيرات المقبولة، التي لا تسهم في تدمير أسس استدامة السياحة.

القدرة الاستيعابية Carrying Capacity:

القدرة الاستيعابية عبارة عن متغير تابع ذي قيم متغيرة لدرجة حضور السائحين، ومدى التعرض للوجود السياحي عبر الزمن، وتغير العوامل المحلية التي لها الأثر الكبير على مدى تقبل المجتمع المضيف والسائحين للتغيرات المقبولة.

تحدد مدى التواصل والتفاعل عبر الزمن بين القدرة الاستيعابية والعوامل المحلية والخارجية للمكان – ارتفاع مستوى القدرة الاستيعابية أو انخفاضها، ومن ثمَّ فإن ذلك يؤثر على الأفواج السياحية، إذا تجاوز المستوى المقبول لقدرة التحمل فإن التنمية السياحية توقف؛ لظهور بعض التأثيرات غير القابلة للعلاج، وقد تطال الانتهاكات الجوانب الاجتماعية أو البيئية أو الاقتصادية الهامة. في هذه الأثناء يشعر السائحون بانخفاض مستوى الرضى الناجم عن تنامي توتر وضيق السكان المحليين تجاه السائحين، مما ينذر بتراجع الأفواج السياحية.

الآثار السياحية على المقومات الاجتماعية والثقافية
The Sociocultural Impact of Tourism:

ينظر إلى التنمية السياحية من وجهات نظر مختلفة، فهي قطاع مركب من علاقات معقدة ومتداخلة مع بقية القطاعات الأخرى، شأنها في ذلك شأن القطاعات الأخرى.

تحدد تنمية المنتج السياحي بنمط النشاط السياحي، الذي يحدد جزء منه المكونات الاجتماعية والاقتصادية، وقد أيدت بعض الدراسات مدى الآثار الناجمة عن التفاعل بين السائحين ومواطني المنطقة المضيفة، ومن بين هذه الدراسات ما توصلت إليه سمث Smith (1989) في كتابها عن السياحة والأنثروبُولوجيا، الأمر الذي أعطى الظاهرة بعداً أكاديمياً. إجمالا هناك اتفاق عام على أن أي تنمية اقتصادية تحمل معها تأثيرات اجتماعية وثقافية، وتشمل هذه التأثيرات –أيضاً– تنمية السياحة الداخلية،

عند تفاعل السكان المحليين مع السائحين.

عمليات التنمية السياحية The Tourism Development Process

يتكون المثال النموذجي الذي يحاكي تنمية منتج سياحي من عدة مراحل، يبدأ من المراحل الأولية حتى مرحلة النضج، ويمكن اختصارها فيما يأتي:

- عدد قليل من السائحين يتوجهون إلى منطقة سياحية حديثة، وغالباً ما تُعرف تلك المرحلة بالاستكشاف.
- يستجيب رجال الأعمال المحليّون بهذه المنطقة المكتشفة للقيام ببعض التجهيزات والتسهيلات؛ لاستيعاب متطلبات السائحين، وجذب أعداد أخرى.
- تقوم السلطات المحلية بتطوير البنية التحتية؛ لخدمة الأفواج السياحية المتزايدة.
- أخيراً تتطور المنطقة؛ لتستوعب أعدادًا هائلةً من السائحين (السياحة المكثفة) ويغلب عليها الرحلات الجماعية، وتتسم هذه المرحلة بالرغبة الشديدة في الحصول على أكبر قدر من الفوائد الاقتصادية من خلال مرافق الإيواء والنقل البري والجوي.

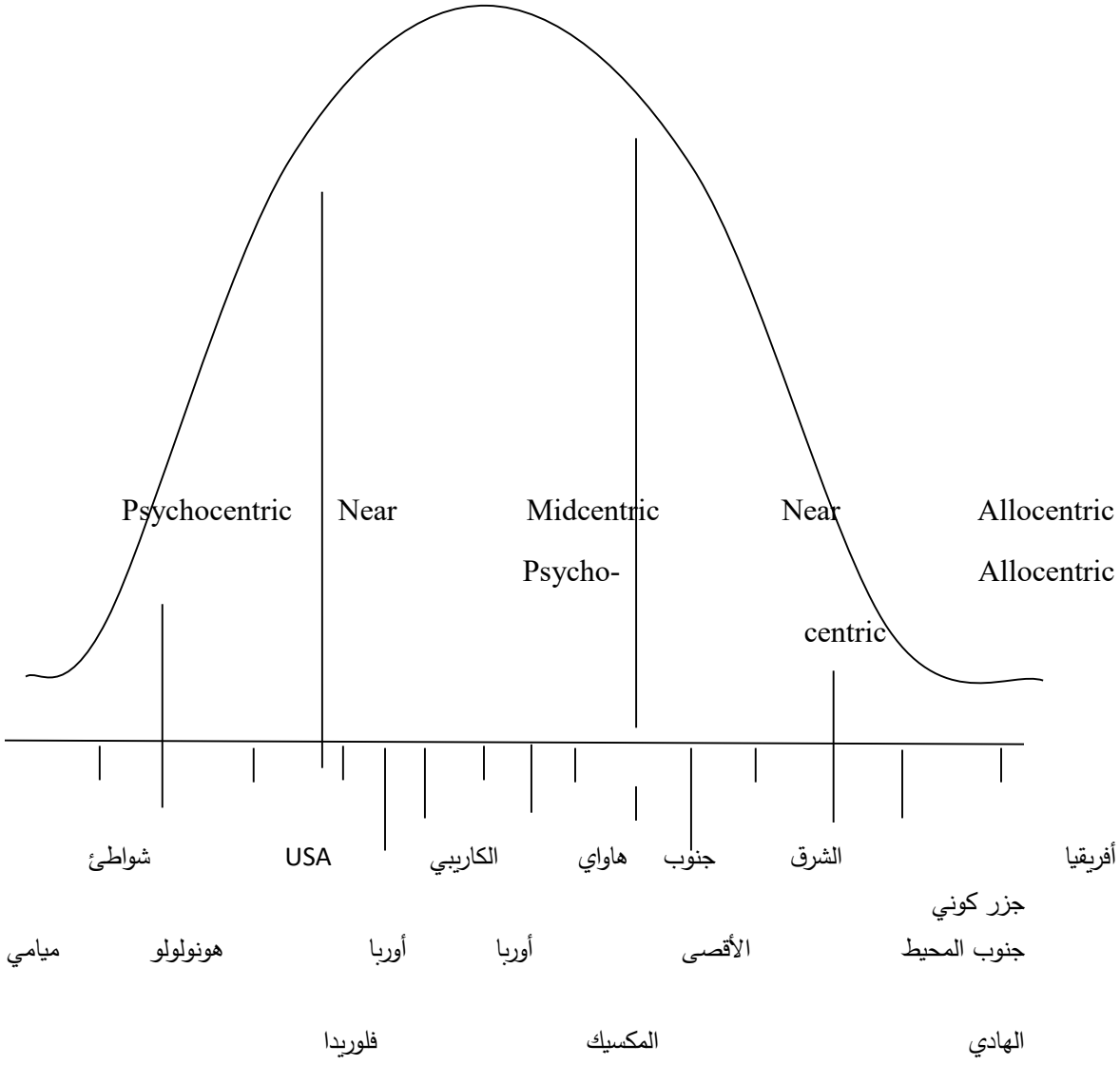
قد حاولت بعض مخططات التنمية الإقليمية اختصار دورة حياة المنطقة السياحية؛ لغرض الوصول إلى المرحلة الأخيرة بشكل أسرع، لكن –في الواقع– لم تستطيع الغالبية القيام بتلك القفزة فيما عدى القلة؛ لأن ذلك يحتاج إلى تأمين رأس المال الخارجي والخبرة.

من المؤسف في هذا المجال، عدم وجود محصلة علمية أو نظرية تفسر عمليات تنمية السياحة بشكل شامل، وتتمثل المعرفة في دراسات لحالات متداخلة من قبل اهتمامات علمية مختلفة، تجعل من الصعب ربط نتائجها مع بعضها في جسم معرفي واحد.

تندرج هذه الأفرع المعرفية تحت التقسيمات الآتية:

- نفسية.
- اجتماعية.
- اقتصادية واجتماعية.

حاول بلوج (1977) Plog أن يطور توجهًا فكريًّا مستوحىً من علم النماذج الشخصية للسائحين، وقد استعين بتصميم هذا التصنيف في تحليل اللوحة البيانية، التي من خلالها يمكن تحليل تطور منطقة جذب سياحي، متبعة نمطًا معينًا، يقود إلى ازدهار السياحة، ثم تتراجع عمليات التنمية. فقد اعتقد بلوج أن هناك حركةً متصلةً لمكونات السوق السياحية على جانبين متناظرين من السلوكيات كما هو مبين في شكل (2).



شكل (2) اللوحة البيانية للوجهة السياحية.

المصدر: Plog (1977).

قسم بلوج الأسواق السياحية إلى عدة أجزاء، تتحكم فيها رغبة الأفراد وقدرتهم المادية والمعنوية في السفر والترويح السياحي، وجد –بناءً على ذلك– أن الأسواق موزعة توزيعاً طبيعياً على المنحنى المعتدل، بعض السائحين يميلون إلى السفر لمسافات بعيدة، راغبين في معايشة ومشاهدة بيئات وثقافات تختلف عن تلك التي ألفوها، وتتصف هذه الشريحة بدخلها المرتفع، ويغلب عليها روح المغامرة وتحمل الصعاب، وأطلق على هذه الجزئية من السوق مصطلح Allocentric. على العكس من ذلك، فئة أخرى من السائحين لا يرغبون في السفر البعيد عن مكان إقامتهم العادية، ويرغبون في بيئة مألوفة، ولا يرغبون في المغامرة، وأغلب هذه الفئة من ذوي الدخل المحدود، وأطلق على هذه الجزئية من السوق مفهوم Psychocentric. أما غالبية السوق فهي تتمحور حول الفئة الوسطى، وأطلق عليها مصطلح Midecentric.

بناءً على هذه النظرية، فإن تطور أي مركز سياحي يقوم على استقطاب أكبر سوق سياحية، وهي المتمحورة في المنطقة الوسطى، وذلك عن طريق إبعاد فئة سوق المسافات البعيدة، التي ستكتشف لنفسها أماكن أخرى تجد فيها ضالتها.

أما المراكز ذات المقومات السياحية المميزة؛ مثل: المناخ، أو الموقع، أو الخدمات الراقية، مثل: ديزني لاند Disney Land، فإنها تحافظ على استقطابها للفئة الوسطى من السوق السياحي، لكن بعض المراكز السياحية قد تفقد بريقها، وتقل قيمتها السياحية، وتصبح سوقاً لفئة Midecentric وتصبح وجهة لسياحة المجموعات المبرمجة.

تشوب نظرية بلوج بعض الهفوات، فعلى سبيل المثال، فإن بعض المراكز السياحية التي كانت سوقاً سياحية للفئة التي لا ترغب في السفر البعيد، قد تتغير؛ بسبب المغريات السياحية، وتنتقل إلى شريحة سوقية أخرى.

الأسس الاجتماعية للتنمية The Sociological Basis of Development:

نماذج السائحين والتنمية The Typology of Tourists and Development:

يشير مصطلح Typology إلى منهج التحليل الاجتماعي، الذي يبحث في تصنيف السائحين حسب ظاهرة معينة، غالباً ما تكون محفزات أو سلوكيات. وهناك مثالان لهذا المصطلح لهما تأثير على

تنمية المنتوج السياحي وهي متمثلة فيما يأتي:

- **سائحو الصفقات الجماعية:** يرغب هذا النوع من السائحين في نمط الخدمات المتعارف عليها في الدول الغربية، كذلك هذا النمط ذو علاقة بمعدلات النمو السريع، الأمر الذي يقود إلى إعادة تركيب هيكلية الاقتصاد المحلي.
- **سياحة الأفراد:** هذا النمط من السائحين غالباً ما يتأقلمون مع نسيج المخططات المحلية، ويغلب عليه طابع النمو البطيء، كما يتسم هذا النمط بتشجيع الملكية المحلية للمشروعات.

السياحة ظاهرة اجتماعية Tourism as a social phenomenon :

هناك عدة عوامل منحدرة من طرق الحياة المعاصرة وظروفها، كان لها الأثر المباشر في زرع البؤرة الأساسية في نمو السياحة كظاهرة اجتماعية، متمثلة في العوامل الآتية:

- النمو السكاني.
- ارتفاع نسبة التحضر، التي أسهمت في ارتفاع الضغوط الناجمة عن الحياة الحضرية، والتي يتمخض عنها ارتفاع في حركة الطلب السياحي.
- تطور وسائل الاتصالات والمعلومات، التي أدت –بدورها– إلى ارتفاع الرغبة في الخروج للترويح.
- التطور في وسائل النقل وسهولة الوصول، وبصفة خاصة النقل الجوي، وارتفاع ملكية السيارات الخاصة.
- زيادة أوقات الفراغ والإجازات المدفوعة، بالإضافة إلى تحسن مستوى الدخل الناجم عن النمو الاقتصادي.
- زيادة التجارة الدولية ذات العلاقة بالخدمات السياحية.

تكرار أنواع السائحين ومدى تأقلمهم مع الأعراف المحلية

نوع السائح	أعداد السائحين	التأقلم مع الأعراف المحلية
مستكشف	محدودة جداً	متقبلة بالكامل
النخبة	تندر مشاهدتهم	تستوعب بالكامل
غريب	نادرة، ولكنها واضحة	تستوعب بشكل جيد
غير اعتيادي	أحياناً	تستوعب
المراحل الأولى للسياحة المكثفة	تدفق منظم	يرغبون في خدمات المجتمع الصناعي
سياحة مكثفة	تدفق هائل	لا يتقبلون إلا الخدمات الغربية
تأجير وسائل نقل	أعداد هائلة	تطلب الخدمات الغربية فقط

شكل (3) المركب السياحي

أساسيات التنمية الاقتصادية والاجتماعية: The Socioeconomic Basis of Development

هناك عدة عوامل تؤثر على حركة السياحة الدولية والداخلية معاً، وهي:

- **العمر**، لكل فئة عمرية رغباتها الترويحية، حيث لا يرغب المسنون في أنماط السياحة التي تتطلب عنفواناً؛ مثل تسلق الجبال، كما لا يرغبون في المواقع السياحية التي يكثر بها الصخب.
- **التعليم**، تشير الدراسات إلى وجود علاقة بين نمط السياحة ومستوى التعليم.
- **مستوى الدخل**، يؤثر مستوى الدخل بشكل واضح على اختيار الوجهة السياحية، ووسيلة النقل.
- **الخلفية الاقتصادية والاجتماعية**، للتجارب الأولى للأفراد دورٌ أساسيٌّ في تحديد الوجهة السياحية في المستقبل، على سبيل المثال: يلاحظ على الأطفال المنحدرين من شرائح اقتصادية واجتماعية مرتفعة، الذين تعودوا على رحلات دولية أن ينحوا نفس المنحى عندما يبلغون سن الرشد.

بجانب الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للسائحين، يجب دراسة مراحل تطور التنمية السياحية وتحليلها، وبيان تأثيراتها. هذا المنهج التحليلي يشمل التأثيرات النفسية لهذه التنمية، بالإضافة إلى القواعد الاقتصادية والاجتماعية للتنمية السياحية. إجمالاً يمكن القول: إنّ هناك آثارًا اجتماعيةً وثقافيةً مباشرةً لعمليات الاتصال بين السائحين والسكان المحليين، وفي هذا الصدد ذكر دوكادت Dekadt (1979) أنّ

هناك ثلاثةَ مستوياتٍ من عمليات الاتصال، وهي:

- عندما يشتري السائح سلعًا وخدماتٍ من المضيف.
- عندما يتشارك السائحون والمضيفون في استخدام المرافق نفسها، كما هو الحال في (الشواطئ، المواصلات، المطاعم... إلخ).
- عندما يلتقي السائحون والمضيفون في أثناء التبادل الثقافي للمجتمعين.

يرتبط النوعان الأوليان من عمليات الاتصال بالآثار السلبية للسياحة على المجتمع، أمّا النوع الأخير فيرتبط بالآثار الإيجابية لعمليات الاتصال بين المجتمعات. عند مقارنة الأنواع الثلاثة من الاتصالات، مع نموذج المركب السياحي عند سمث Smith (1989) نلاحظ أن سياحة الاكتشاف والمغامرة ذات علاقة بالبندين السلبيين الأول والثاني، وهذا يدل على أن التأثيرات السلبية لحركة السياحة أوسع انتشاراً من التأثيرات الإيجابية.

المحاكاة مظهر آخر من المظاهر السلبية السياحية على سلوكيات المضيف، فالتنمية السياحية بطبيعتها تختلف عن القطاعات الأخرى، حيث إنّ السياحة لا تصدر ولا تعلب، وإنما يأتي المستهلك إلى الدولة المضيفة، ومن ثم فهي عامل أساسي للتغير الاجتماعي.

من غير الضروري وجود اتصال مباشر بين السائح والمضيف حتى تحدث تأثيرات على المجتمع، لكن فرص العمل الجديدة يحدث عنها تغيرات اجتماعية، بالإضافة إلى تأثيرات وسائل التقنية الحديثة من مواصلات وبنية تحتية، كل هذه العوامل يحدث عنها تأثيرات اجتماعية.

هذه العمليات يمكن أن نطلق عليها مؤثرات اجتماعية وثقافية غير مباشرة، تشمل عمليات التنمية السياحية كلّها، بجانب تنمية القطاعات الأخرى. وبما أن طبيعة السياحة هي قطاع مركب من بقية القطاعات الأخرى، فإن التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية تبدو أكثر وضوحاً.

أخيراً، ارتفاع مستوى الدخل وانتشار مؤسسات القطاع المالي سوف يكون لها الأثر على نمط الاستهلاك، هذا التغير في الاستهلاك إذا ركز على السلع المعمرة (الثلاجات، التلفزيونات...) سوف

ينعكس على سكان المقصد السياحي، ويرفع الحاجات وما يترتب عليه من تغيرات اجتماعية، ويمكن النظر إلى هذه التأثيرات على أنها محفزات للمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إن التأثيرات الاجتماعية والثقافية المباشرة تحدد بمدى التباين الثقافي والاجتماعي بين الزائر والمضيف، وفي هذا الصدد يشير انسكيب (1991) Inskeep إلى أنواع هذه الاختلافات التي يمكن اختصارها فيما يأتي:

- القيم الأساسية والنظام المنطقي.
- الاعتقاد الديني.
- الموروث.
- العادات.
- مستوى المعيشة.
- السلوك.
- اللباس المقبول.
- الحس الزمني.
- مدى تقبل الغرباء.

تجدر الإشارة إلى أن سلوك السائح بعيداً عن موطنه يختلف عنه في مقر إقامته الدائمة، بمعنى آخر: يتبنى السائحون أخلاقياتٍ وقيمًا مختلفة أثناء الرحلة عن تلك التي عهدوها في بلدانهم.

هذه الآثار الاجتماعية والثقافية بعضها إيجابي وبعضها الآخر سلبي، كما أشير سابقاً، إلّا أنه من بين الإيجابيات النادرة التبادل الثقافي، كذلك يمكن أن تسهم السياحة في الحفاظ على الموروث الثقافي المتمثل في الآثار القديمة، والمباني التاريخية، والفن التقليدي، والعادات والتقاليد السائدة التي يعتز السكان المحليين بها.

أما السلبيات الاجتماعية والثقافية فتحدث –أحياناً– بالاختلاط المباشر وما يحدث عنه من محاكاة للثقافات القادمة، تحدث الجوانب السلبية –أيضاً– بسبب سوء إدارة برامج التنمية السياحية، على

سبيل المثال: يولّد وجود العمالة السياحية الوافدة التي تعمل في المشاريع السياحية ومشاريع الاستثمارات، فتوراً من قبل السكان المحليين، كذلك فإن حرمان السكان المحليين من استخدام بعض المرافق السياحية مثل: (الشواطئ الخاصة، وخدمات النقل)، تعمق الشعور بعدم المساواة، مما يثير النقمة تجاه السائحين.

تعتبر الدخول الناجمة عن مشاريع التنمية السياحية مجحفةً وغيرَ عادلةٍ في حق البعض، كما أن الدخول المرتفعة نسبياً التي يتحصل عليها البعض، قد تخلق بعض التوترات الاجتماعية شعور الآخرين بالضغينة. هناك إشكالية أخرى ناجمة عن التفاوت المادي بين السائحين والسكان المحليين؛ لأن غالبية السائحين الدوليين من ذوي الدخول المرتفعة إذا قورنوا بالسكان المحليين، كما أنهم يسرفون في مصروفاتهم في أثناء رحلتهم، هذه الأمور تدفع السكان المحليين إلى الشعور بالغبن والضغينة.

حاول دوكسي (1976) Doxcy قياس التوتر الذي يحصل بين السائحين والسكان المحليين، وصاغها في عدة مراحل هي:

1- **مرحلة الشعور بالنشوة**، متمثلة في الحماس المصاحب لنمو المشاريع السياحية، والترحاب بالسائحين.
2- **مرحلة الفتور**، تتسم هذه المرحلة بتوسع التنمية السياحية، وينظر للسائح كمصدر رزق، أما عملية التواصل بين الطرفين فهي رسمية.
3- **مرحلة التوتر**، عندما تصل صناعة السياحة إلى مرحلة التشبع، يبدأ السكان المحليون بالشعور بالتوتر والضيق من الأعداد الهائلة للسياح، وعدم مواكبة البنية التحتية لهذه الأعداد.
4- **مرحلة النفور**، ينظر للسياحة بأنها جالبة للأمراض والعلل، كما أن السكان المحليون لا يخفون نفورهم من السائحين، أما السائحون فيشعرون بأنهم عرضة للاستغلال والابتذال.
5- **المرحلة النهائية**، خلال مراحل النمو السابقة الذكر ينسى السكان المحليون بأنهم كانوا يمثلون عنصر جذب سياحي مهمّ؛ لأن عمليات التنمية السياحية المحمومة قد غيرت المعطيات.

مما سبق يتبين لنا أن مستوى التأثيرات الاجتماعية وحجمها سوف يحدد بمجموعة من العوامل، إلا أن تجاوز حدود السعة لمنطقة المقصد السياحي عامل حاسم.

الآثار البيئية لحركة السياحة The Environmental Impact of Tourism:

تعد البيئة الطبيعية والبيئة البشرية أهم مكونات المنتج السياحي، إلا أنها تتغير بمجرد بدء النشاط السياحي، سواء أكان ذلك متمثلاً في تنمية المرافق السياحية، أم من خلال النشاطات السياحية، وتسعى أغلب دول العالم إلى حماية بيئاتها وصيانتها، وخاصة منذ النصف الثاني من القرن العشرين.

في استعراض لعدد من الدراسات التي تناولت الآثار السياحية على البيئة، انحصرت أغلب هذه الدراسات على أثر حركة السياحة على الحياة البرية في أفريقيا، وكذلك على تلوث البحر المتوسط، وبالخصوص على بعض الأماكن المحدودة من الشواطئ والجبال، إلا أن هذه الدراسات قد أنجزت في أماكن مختلفة، ولأنماط سياحية متعددة، مما يعيق الخروج بإطار منهجي يستخدم في التحليل.

عند دراسة الآثار الطبيعية لحركة السياحة يجب اتباع الخطوات الآتية:

- التأثيرات السياحية على البيئة الطبيعية الناتجة عن النشاطات السياحية.
- حالة الأوضاع قبل البدء في النشاط السياحي؛ لكي تسهل عملية المقارنة.
- جرد مكونات الحياة النباتية والحيوانية، وتحديد درجات التحمل لأنواع من الآثار نتجت عن النشاطات السياحية.
- ما هي مستويات الآثار البيئية غير المباشرة الناجمة عن النشاطات السياحية.

تدرس الآثار البيئية للسياحة الناجمة عن برامج التنمية، من الجوانب المباشرة وغير المباشرة، هذه التأثيرات قد تكون إيجابية أو سلبية، حيث إنّه من المستحيل القيام بتنمية سياحية من دون إحداث تأثيرات جانبية، لكن يمكن حماية البيئة عن طريق التخطيط السليم، وتقليل التأثيرات السلبية، وزيادة التأثيرات الإيجابية.

تشمل التأثيرات الإيجابية المباشرة لحركة السياحة ما يأتي:

- حماية المباني التاريخية والمواقع المهمة وصيانتها.
- إنشاء الحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية.

- حماية الشعاب المرجانية والشواطئ البحرية.
- صيانة الغابات.

تجدر الإشارة إلى أن عمليات الحماية والصيانة قد تصنف بأنها ذات قيمة عالية، من وجهة نظر الباحثين، بينما قد لا تعتبر ذات قيمة عالية من قبل السكان المحليين، ومشكوك في تأثيراتها الإيجابية. على سبيل المثال: قد تؤثر المحميات الأفريقية على استخدامات الأرض الرعوية والزراعية للمجتمعات البدوية.

أما من ناحية الجانب السلبي لحركة السياحة على البيئة المائية والهوائية والضوضاء فيأتي التلوث المائي من ضخ مياه الصرف الصحي من الفنادق والمرافق السياحية إلى البحار، وكذلك من القوارب التي تستخدم المحركات الآلية. أما تلوث الهواء فتسببه استخدامات الطاقة النفطية في تدفئة أو تبريد مرافق الإيواء السياحية بأنواعها. وتسهم كذلك وسائل النقل بأنواعها في ارتفاع درجة الضوضاء في مراكز الجذب السياحي.

تعاني البيئة الطبيعية والمعالم البشرية من بعض التجاوزات المتمثلة في الصيد الجائر، وفي الاستخدام المفرط للكثبان الرملية، أما تأثير السياحة على الغطاء النباتي فيتمثّل في إيقاد النيران التي قد تسبب حرائق واسعة النطاق، هذا بالإضافة إلى قطع الأغصان، ورمي القمامة في غير الأماكن المخصصة لها، ما قد يؤثر على النمط الغذائي للحيوانات البرية.

ويحدث التلوث البصري؛ بسبب النشاط المحموم لإنشاء الفنادق الشاهقة والمتراصة، خاصة بالقرب من الشواطئ، متجاوزة معايير الارتفاعات المنصوص عليها. وتجدر الإشارة –هنا– إلى أن هذا النمط من المباني كان سائداً في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، لكنها قلّت في السنوات التي أعقبتها.

في بعض الدول –وخاصة تلك الواقعة على الجزر– يلاحظ ارتفاع الحس البيئي عند المخططين الذين أقروا عدة قوانين، يحذر تجاوز خط الواجهة البحرية للمباني الشاطئية، الذي يمنع تجاوز ارتفاع أشجار نخيل جوز الهند، كما هو الحال في جزر الموريشيوس Mauritius. أما في الهند فقد حذر البناء

على مسافة محددة من الشواطئ.

يصاحب عملية التنمية السياحية –أيضاً– بعض الآثار السلبية على الاقتصاد بشكل مباشر وغير مباشر، كما هو الحال في التأثيرات البيئية. فإذا تطلبت حاجة نشاط سياحي أن تنتج مخرجات من عدة قطاعات تشمل تلك الصناعات التي لا تقدم سلعًا وخدمات بشكل مباشر، ومن ثم فإن الآثار البيئية الناجمة عن هذه المخرجات يجب أن توضع في الحسبان، لذلك كلما توسعت النشاطات السياحية أدّى ذلك إلى التوسع في شراء الأراضي، وتشييد المباني، وما يترتب عليها من توسعٍ في قطاع المحاجر، وقطاع النقل ذات العلاقة بهذا النشاط.

تقييم الآثار البيئية Environmental Impact Assessment (EIA):

لا يوجد نموذج معين لتقييم الآثار البيئية للتنمية السياحية، لكن هناك بعض القوانين لحماية البيئات الحساسة والهشة، كذلك هناك بعض المؤسسات المفوضة قانونياً لحماية البيئة التي لها علاقة بالنشاطات السياحية.

وتجدر الإشارة إلى أن غياب القوانين التي تحمي البيئة، يجب أن لا تقف حجر عثرة أمام المخططين لتطبيق قوانين حماية البيئة على مشروعات سياحية؛ لأن حماية البيئة أسهل وأقل كلفة بكثير من عمليات الإصلاح غير المضمونة.

لقد جرت بعض المحاولات في بعض الأماكن لتصميم موازنة سياحية بيئية؛ لتقييم شبكة مؤثرات التنمية السياحية في علاقتها مع البيئة، وأحد هذه المحاولات قامت بها مقاطعة سكوتلندا Scotland التي ترى أن السياحة قطاع مهمّ لاقتصاد الإقليم على الرغم من الانتهاكات التي تعرضت لها البيئة ذات العلاقة بالتنمية السياحية، وهي قليلة وفي أماكن محددة يمكن معالجتها باتباع أساليب الإدارة المحكمة (انظر دراسة حالة (1)).

ISSN: 2523 – 1871

دراسة حالة (1)

هيأة التنسيق السياحي الأسكتلندية
الموازنة البيئية لعام 1992

قد صمم مكتب العمل في إنجلترا حملة لاختبار مدى العلاقة بين السياحة والبيئة في عام 1991، واتضح أن التقرير يؤيد النقاط التي قامت بها هيأة التنسيق السياحي الأسكتلندية.

عمليات تقييم الآثار البيئية EIA the Process:

من المهم تحديد بعض التأثيرات الناجمة عن التنمية السياحية في مراحلها الأولى؛ وذلك لما يأتي:

- سهولة تلافي الدمار البيئي في هذه المرحلة، وذلك عن طريق تحوير برامج التنمية السياحية أو رفضها بالكامل، وذلك أكثر فائدة من محاولات الإصلاح.
- الاستغناء عن المشاريع السياحية المعتمدة على مشاهد جمالية ذات قيمة عالية؛ لما قد تسببه من دمار بيئي.

هناك عدة طرق يمكن استخدامها في تقييم الآثار البيئية للسياحة، من بينها: قوائم الاختيارات، وشبكة النظم المترابطة. لكن يمكن القول –بشكل عام–: إن عمليات تقييم الآثار البيئية للمشاريع عبارة عن خطوات تساعد الباحثين في توقع ما سوف تؤول إليه البيئة في حالة تنفيذ مشروع ما، ومن ثم فإن تصميم قائمة خيارات للتأثيرات البيئية تساعد في تحديد الآثار الممكنة في حالة تنفيذ مشروع سياحي معين (انظر دراسة حالة (2)).

عند تحديد الآثار الممكنة للمشروع يصبح من الممكن تحديد الأسس البيئية المهددة، لذلك فإن هذه القوائم تشكل أساسًا لمصفوفة تستخدم؛ لتحديد الآثار البيئية لأي مشروع سياحي من حيث عدم وجود تأثير للمشروع أو وجود تأثير بسيط، أو تأثير متوسط، أو له تأثير واسع النطاق.

تركز مناقشة منهجية تقييم الآثار البيئية على النواحي الآتية:

- عمليات التدقيق والمراجعة البيئية.
- حدود الموارد الطبيعية.
- المشكلات والعوائق البئية التي تهدد المشروع.
- الضرر الممكن للناس، والغطاء النباتي والحيواني، والتربة، والماء، والهواء، والهدوء، والمشهد العام، والمواقع الثقافية... إلخ، وهذا يشمل منطقة المشروع أو المنطقة المجاورة له.

ISSN: 2523 – 1871

يمثل شكل (4) نموذجًا لعمليات تقييم التأثيرات البيئية الذي يمكن الاحتذاء به، وفيما يأتي خطوات مقترحة لمشروع سياحي، يضع في الحسبان السياسات البيئية للمكان السياحي.

بعد مراجعة مقترح مشروع التنمية السياحية، ينتقل المقترح إلى اختيار الموقع الذي يخضع لتقييم بيئي أولي؛ لمعرفة ما إذا كان هناك تعارض مع السياسات البيئية للموقع. عندما تنتهي عمليات التقييم البيئي تنتقل العملية إلى القيام بدراسة جدوى مبدئية للمشروع، تتبع هذه العملية بتقييم دقيق للتأثيرات البيئية، ينتقل المقترح بعد ذلك إلى عملية مقارنة بين التقييم البيئي للمشروع وبين السياسات البيئية للمنطقة المستهدفة، فإذا لم يكن هناك تعارض جوهري بينهما ينتقل المشروع إلى دراسة جدوى تفصيلية، ويمكن إجراء بعض التعديلات لتقليل التأثيرات البيئية؛ لموائمة المشروع للسياسات البيئية المعمول بها.

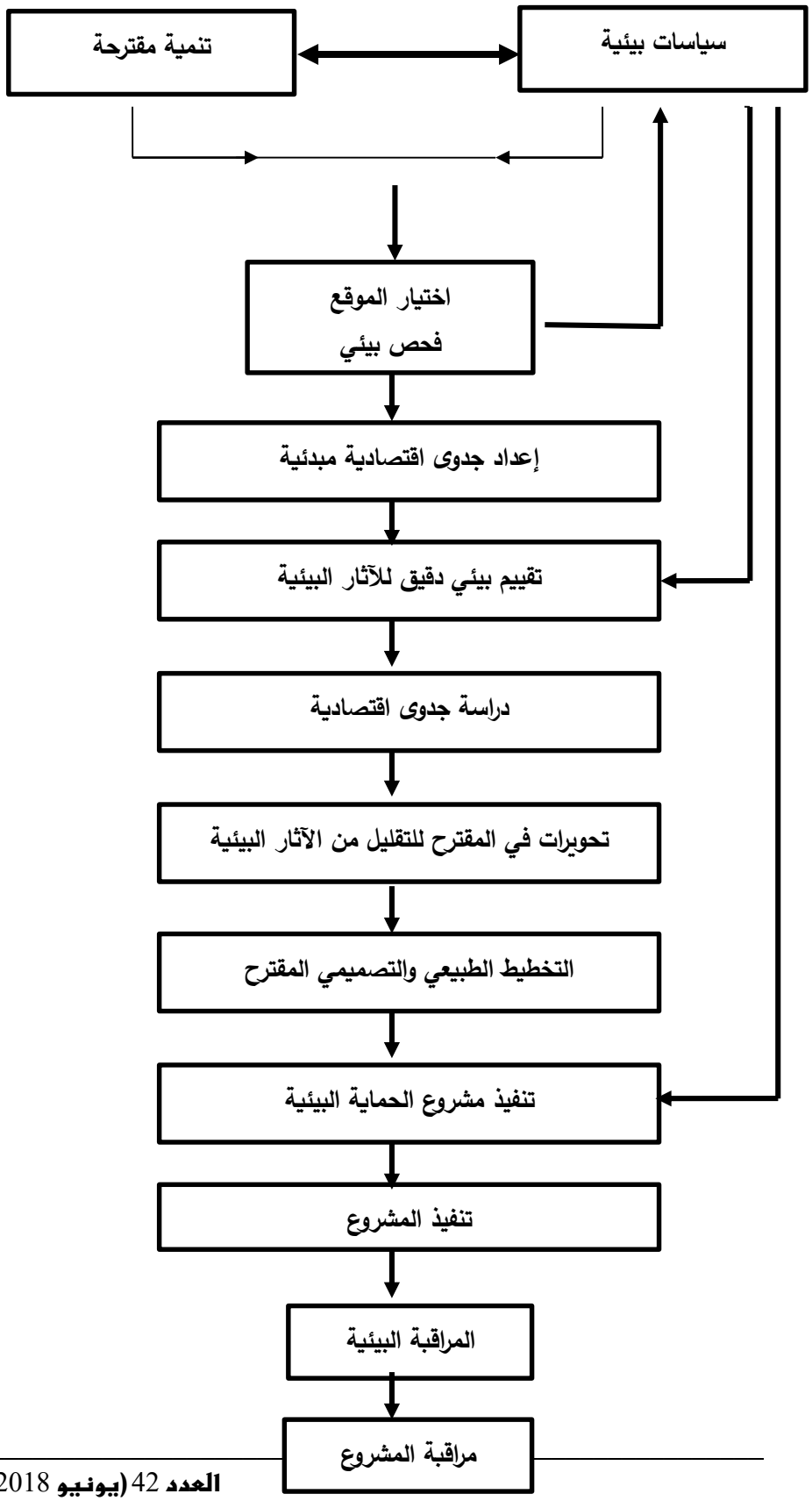
يهدف التخطيط الطبيعي، وتصميم المشروع وحدوده، إلى حماية البيئة لما يتماشى مع السياسات البيئية، وعند الوصول إلى هذه المرحلة يمكن الشروع في تنفيذ المشروع، ومراقبته بشكل يحمي البيئة من المشكلات المستقبلية.

ISSN: 2523 – 1871

دراسة حالة رقم (2) المصدر: Green et al (1990)

القائمة الخضراء لحماية البيئة من الآثار السياحية	
البيئة الطبيعية	البيئة المبنية
أ- التغير في المكونات النباتية والحيوانية	**أ- البيئة الحضرية**
1- إرباك عمليات التزاوج.	1- الزحف على الأراضي الزراعية.
2- قتل الحيوانات عن طريق الصيد.	2- تغير في حركة جريان المياه.
3- قتل الحيوانات وتحويلها إلى تذكار سياحيّ.	**ب- التلوث البصري**
4- حركة الهجرة الداخلة والخارجة.	1- ارتفاعات المباني.
5- إرباك الحياة النباتية عن طريق القطع.	2- ظهور تصاميم عمرانية حديثة.
6- تغير في انتشار وطبيعة الغطاء النباتي؛ لبناء التسهيلات السياحية.	3- الأغراض البشرية.
ب- التلوث	**ج-البنية التحتية**
1- تلوث المياه عن طريق ضخ مياه الصرف الصحي، ونفايات السفن.	1- زيادة تحميل البنية التحتية (طرق، سكك، ساحات ركن السيارات، شبكة الكهرباء، وسائل الاتصالات، النفايات، ومصادر المياه).
2- تلوث الهواء من عوادم السيارات.	2- توفير بنية تحتية جديدة.
3- التلوث الصوتي الناجم عن وسائل النقل والنشاطات السياحية.	3- تحوير بعض الأماكن للاستخدامات السياحية (كاسرات الأمواج، ضم الأراضي).
ج- الانجراف	**د- الشكل الحضري:**
1- دك التربة وتسريع عمليات الانجراف.	1- إجراء تغييرات واستخدامات المساكن والمحلات التجارية والصناعية(التحوير من منازل إلى فنادق)
2- التسريع في عمليات الانزلاقات والانهيارات الأرضية.	2- تغير في النسيج الحضري.
3- ارتفاع احتمالات الانهيارات الثلجية.	3- تباين في المباني الخاصة بالسائحين والمباني السكنية للمواطنين.
4- تدمير المعالم الجيولوجية (الكهوف، أشكال سطح الأرض).	**هـ- الحفاظ**
5- تدمير الشواطئ.	1- إعادة استخدام مبانٍ مهجورة.
د- الموارد الطبيعية:	2- حفظ وحماية المباني والمواقع التاريخية.
1- استهلاك الموارد المائية السطحية والجوفية.	3- إعادة استخدام المباني المهملة للسياحة.
2- استهلاك المحروقات؛ لتوفير طاقة للسائحين.	**و- المنافسة:**
3- ارتفاع إمكانية حدوث حرائق.	1- احتمالية تدني عوامل الجذب السياحي وظهور منافسين جدد، هذا بالإضافة إلى إمكانية تغير سلوك السائحين.
هـ- التلوث البصري	
1- مرافق (مبانٍ، مآرب، السيارات).	
2- القمامة.	

شكل (4) عمليات تقييم التأثيرات البيئي



References and further reading

1. Atherton, T.C. (1991) 'Regulation of tourism destination planning, development and management, including a critique of the systems and practice in Australia', (unpublished)MSc dissertation, University of Surrey.
2. Burnett, G.W., and Conover, R. (1989) 'The Efficacy of Africa's national parks: an evaluation of Julius Nyrere's Arusha Manifesto of 1961', Society and Natural Resources', vol. 2, pp. 251-60.
3. Cohen, E. (1978) 'The impact of tourism on the physical environment', Annals of Tourism Research, vol. 5, no. 2, pp 215-37.
4. de Kadt, E. (ed.) (1979) Tourism: Passport to Development?, New York: Oxford University Press.
5. Doxey, G.V. (1976) 'When enough's enough: the natives are rest-less in Old Niagara', Heritage Canada, vol. 2, no. 2, pp. 26-7.
6. Getz, D. (1986) 'Models in tourism planning', Tourism Management, vol. 7, no. 1, pp. 21-32.
7. Green, D.H., Hunter, C.J. and Moore, B.(1990) 'Applications of the Delphi Technique in Tourism', Annals of Tourism Research, vol. 17, pp 270-9.
8. Inskeep, E. (1991) Tourism Planning: An Integrated and Sustainable Development Approach, New York: Van Nostrand Reinhold.
9. Jafari, J. (1987) 'Tourism models: the sociocultural aspects', Tourism Management, vol. 8, no. 2, pp. 151-9.
10. Mathieson, A., and Wall, G. (1982) Tourism: Economic, Physical and Social Impacts, Harlow: Longman.
11. Murphy, P.E. (1985) Tourism: A Community Approach, New York: Methuen.
12. Plog, S.C. (1977) 'Why destination areas rise and fall in popularity,' in Kelly, E. M. (ed.), Domestic and International Tourism, Institute of Certified Travel Agents, Wellesley: Mass.
13. Shelby et al (1984) 'A conceptual framework for carrying capacity determination', Leisure Sciences, vol. 6, no. 4, pp. 433-51.
14. Smith, Vt. (1989) Hosts and Guests: The Anthropology of Tourism, 2nd edn, Philadelphia, Pa.: University of Pennsylvania Press.